

الأولى، أى أنها توحى إلينا كثيراً من الأفكار والخواطر المتنوعة كلما نظرنا وأمعنا فيها. والأمر يرجع إلى أننا لا نفهم الجمال مرة واحدة، إذ الجمال ليس مسألة حسابية يعوزها الفهم، ولا تمرينا هندسيا ينقصه البرهان، وإنما هو معين لأفكار كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة، ولن تنضب فيه هذه الأفكار إلا إذا فنيتم. - لا قدر الله - حياتنا النفسية. ويتبين جمال إطلاق الأفكار الشعرية من قيود التحديد في كثير من آثار الشعراء، كما نجد في رواية هملت لشكسبير، فإن النقاد يختلفون اختلافاً كثيراً في شخصية هملت، ولا يكادون ينتهون إلى رأى واحد معين، ولكنهم مع ذلك يتفقون على أن هذه الرواية من أعظم أعمال شكسبير إن لم تكن أعظمها. وربما كان يستحسن - لهذا السبب - أن يعتمد الشاعر على الإيجاز حتى يصبغ أفكاره بشيء من الإبهام والغموض يسمح لنا أن نستوحى منه خواطر مختلفة جميلة. ولا يضع الإيجاز من قيمة الشعر، بل هو على العكس يرفع منه ويسمو به، وإنما الذى يضع منه حقاً هو الإطناب الذى لا يزال بالفكرة حتى يظهرها عارية أمامنا فسرعان ما نبتذلها ونزدرها.

وإذن فالغموض الشعرى يجب أن نقدره التقدير اللائق به، فلا نغالى في ازدرائه وتحقيره. يجب أن نعرف أنه من أهم أسباب جمال الشعر وحسنه، ومن يدري؟ ربما كان من أهم أسباب خلود الشعر وبقائه، فإن الآثار الشعرية تشرق عليها الحياة في العصور المختلفة، بينما تبلى القطعة العلمية بمرور الزمن وتنطمس معالمها. وأكبر ظنى أن هذا يرجع إلى وضوح القطع العلمية، فالشئ الذى يتضح أمام الإنسان لا يفكر في ترديده وتكرار النظر فيه، وأى حاجة تستدعى ذلك؟ أما الآثار الشعرية فإنها لا تتضح أمام الإنسان جملة واحدة، ولهذا نحن نقرأها مرة ومرتين وقد نحفظها ونكررها ولا نحس بضجر ولا بملل، بل نحن نجد في ذلك لذة مغرية.

والغريب كل الغرابة أن بعض النقاد يدعى أن كل بديع في هذا الكون من منظر إلى صوت إلى شعر يلزمه الوضوح كيفما تكيف وتطور وتصور وأن الوضوح هو جوهر الجمال. ولا يستطيع أحد أن يوافقه على هذه الدعوى،